

فُرُوهة كَاتِب

ريزنه عاطف عبدالوهاب

"فيدليا"

"خواطر"



فُرُوه كَاتِبَةٌ

بِقَلَمِ

رِيْزْنَه عَاطِفَ عِبْدِ الْوَهَابِ

"فِيْدِيْلِيَا"

الكتاب : فُرُوهة كَاتِب

عدد الصفحات: 52

عدد الخواطر: 48

تأليف: ريزنه عاطف عبد الوهاب

لم أكن أدري وقتها ما أصنع فهمتُ إلى الكتابة، لطالما كانت الملجأ الآمن لي بعد ربي، ربما ليس دائماً ولكنها من أكثر الأشياء التي تخفف عن روعي ثقلها، فبعد كتابة ما كان يثقل روعي أشعر وكأنني أصبحت كالفراشة في خفتها، ربما لأنني أستطيع أن أفضفض بها دون أن تمل مني.

تمنيتُ لو أنني طائرٌ لديه جناحيه يطير عندما يشاء، لا تثقل
الهموم فؤاده، إن حزن يُحلق بعيداً حتى لا يمكنهم العثور عليه،
يطيرُ إلى من يحب وما يحب يحلق بعيداً عما يكره.

مختلفه هي عن من حولها، ليس لي علم بما يجعلها مختلفه، لكنها
تجعلك تشعر وكأنك في العاشرة من عمرك، تجعلك تخرج ما يکنه
قلبك وكأنك كتاب مفتوح، لديها إبتسامتها الساحره، تجعلك تبسم
دون وعي منك، وعيناها البنيه عندما تشتبك بأشعة الشمس تجعلك
تفقد كل حواسك، إنها مختلفه كلياً فلا شبيه لها ولن يكون.

شعرتُ بأن العالم أجمع يقف ضدها والجميع يتهمونها بذنب لم
تكترفه، لوهلةٍ فقط شعرتُ بأنه ليس في ظهرها من يُساندها، من
يزيلُ من على قلبها كل ذلك الألم، من يختطفها من بين أحزانها إلى
عالمٍ تُخرج به الطفلة التي تختبئ بداخلها، فبكتُ عيناها بعد أن كان
يغلفها الجمود، بكتُ رغم أنها لا تبكي أمام أحد، لم أعلم وقتها ماذا
أقول فتركتها تبكي ربما البكاء يزيل الثقل الذي على قلبها، ربما
يهدئ من أحزان قلبها الصغير، فأخذتها بين أحضاني حتى هدأتُ
وسكن فؤادها.

كيف حال صديقتك أو كما كنتِ تلقينها رفيقة رُوحِي وتوأمها؟
-لست أدري فهي لم تعد صديقتي ولم تعد توأم رُوحِي لقد أصبحت
غريبةً عني وعن رُوحِي، حتى أنني لستُ أدري إن كانت بخير أم
لا

ألم يعد يهَمِك أمرها؟
- كلا لم يعد الأمر مهمًا.. لأنها لم تعد تعني لي شيئًا، فقد أصبحت
كغيرها من العابرين في حياتي.

لقد بلغت الخمسين من عمرها ولكنها مازالت تحمل الطفلة ذات
الأربع أعوام بداخلها، تحتاج فقط من يمسك بيديها ويحررها.

لم تكن تبوح عمّا بداخلها، لا تبكي، لا تظهر حزنها أمام أحد،
لكن ذات ليلة لم يعد فؤادها يسع حزن أو كتمان آخر، فباحث
بكل ما بداخلها وبكت بكاء مريراً، بكت كمن شخص لم يبك قط
طيلة حياته، كانت دموعها كمنبع نهر، أيقنت وقتها أنها ليست
شخص قوي من الداخل كما تظهر لنا، وأن قلبها هش، ضعيف
كقلب الطفل.

ضحكتها كطفلة لم تحمل هم الحياة بعد، أما عن بكائها فهو
كشخص يحمل هم العالم أجمع.

كانت تدّعي الشجاعه والقوة لكن قلبها كان هش ضعيف لا
يحتمل أبسط الكلمات المؤذيه.

لكنها تحتاج إلى شخص يفهمها ويفهم ما تحب وما تكره، شخص يستطيع معرفة الباقي من كلامها الذي لم تكلمه هي ظناً منها أن كلامها غير مهم ولا يهتم لأمره أحد، تحتاج إلى شخص يشعرها بالأمان وأنها مهمة وكل كلامها مهم، وأنها شخصية مميزة، تحتاج للذي يلمس وينتبه من كل تفصيلة صغيرة بها.

نظرتُ في عينيها أحاول أن أفهم ما يتخللُ أعماقها، لكنني
وجدتها وقد غلفت عيناها وكتمت ما بداخلها جيداً حتى
جعلتني أظنها فارغة تماماً من الداخل.

هي ملجأ لمن لا ملجأ له، موطن لمن لا موطن له، بيتها مأوى
لمن لا مأوى له، قلبها يفيض بالحب والحنان والأمان لكل
من فقدهما.

لطالما حاولت أن التمس في عينيكِ صدق كلامك لي ولكنني
لم أجد شيئاً، كنت في كل مرة أشعر أن كلامك لي لم يكن
نابع من قلبك، ولكنني كنت أصدقه، يمكنك القول أنني
كنت بلهاء ربما.

إلى عزيزتي..

كنتُ أرتعدُ خوفاً حتى التقت عيناى بعينيكِ فتغلغت الطمأنينة
إلى فؤادي.

إلى عزيزتي..

بعيدة كل البعد، بعد مسافات ليس إَّلا، ولكنكِ أقربهم إلى
قلبي.

"أمي"

ويكفيني من العالم إبتسامتها، حضنها الدافئ، عيناها التي
تفيض بالحب، فهي ضماد قلبي ومنبع الأمان.

أما عن حُضن أبي فهو كالجأ لي في ليلة عاصفة لا مأوى بها،
فهو موطني الدافئ.

جراح قلبك تلك سيضمدها عوض الله ويورق مكانها زهراً.

هدوءً تام، يجلس الجميع في صمت، كل منهم يتابع ما يجب، بينما أنا أجلس في عالم آخر، أحاول أن استرجع نفسي، أن اكتشف ذاتي التي فقدتها منذ أعوام، أحاول أن ألملم فتات قلبي المتناثر، لكن لا فائده، فما زال هناك جزء مفقود، لقد تناثر واختفى إلى الأبد، عند هذا الحد لم اتمالك نفسي فبكيت.. ليس بكاء العين يا رفيق فأنا قد جفت ينايبي، لقد بكيت ذاك البكاء الذي يسمى بالنعيط.

إن رأيتني في طريقك ولم أعرك إنتباهي فالتمس لي عذراً أو
ربما سبعين لعلي في وادٍ غير واديك.

حينما قالوا لي أني أشبهكِ ارتسمت على وجهي بسمة صافية،
لظالما أحببت أن يقولوا لي هكذا دائماً، حينما يشبهوني بكِ يرفرف
قلبي ويطير من السعادة.

الفنُ أيضاً يواسي من كسرت الحياةُ قلوبهم، من خرب اليأسُ
أرواحهم ودمرها، من قسى عليهم الزمان والمكان.

عندما تجلس في سُرفتك، تنتشر حولك رائحة الريحان، تراقب القمر
والنجوم، ترسم على محياك ابتسامة تلقائية، كيف بكل هذا الجمال،
تراقب في هدوء تام، لا صوت المارة يزعجك، ولا صراخ الأطفال يؤلم
رأسك، تستمتع بليك ويديك كوب القهوة خاصتك،
تشكوه فلا يمل، تحكي له فيكون خيرُ مستمع، صديقٌ وفيّ، هوائه
لطيف، به شئٌ مختلف يغمرنى بالراحة، يملأ فؤادي بالطمأنينة ويشعرنى
بالسلام الداخلي.

لقد مضيت يا جدي وتركت خلفك جراحاً تنزف وقلوب تأن
وفراغاً لم ولن يملؤه أحد غيرك، تركت خلفك قلوب لن تهدأ
نيران شوقها إليك، كنت أحد أمرائي وتيجان رأسي التي أتزين
واتباهي بها أمام الجميع، رحمك الله يا فقيدي وجعل مثواك
الفردوس.

- تركوك؟

نعم

- وهل وعدوك بالبقاء؟

نعم ولكنهم أخلفوا بوعدهم

- إذاً أكل طريقك بدونهم

لكني لا أستطيع

- أنا استطعت وأنت ستستطيع.

بصمت تجاوزتُ كل ما أذاني، كل ما سبب لي الجراح وترك
الندوب في فؤادي، تجاوزت بصمتٍ شديد حتى ظن الجميع أنني
لا أبالي بشيء، ربما معهم حق في هذا فأنا لم أكن أبكي قط
أمامهم، ولكن وصادتي كانت تعاني مني كثيراً وتُبل كل ليلة
تقريباً بدموعي، كنتُ أبكي على اللاشيء، أبكي لمجرد أن الجميع لا
يشعرون بأحزاني ويظنون أن الحزن لا يعرف طريقاً لفؤادي،
ولا يدرون أنه قد اتخذ قلبي مأوى له وربما أقسم أنه لن يغادره.

كانت بمثابة البلم الذي يداوي جراحي، كانت لطيفة على روعي أكثر مني،
وأشد حناناً عليّ مني، ولكننا تركنا بعضنا ذات يوم، تركنا بعضنا لأجل شيء لا
يستحق، قضيت الشهور وأنا بعيدة عنها، لم تغب عن خاطري يوماً، ذكرياتنا
وصورنا وضحكنا مع بعضنا لم تغب عني أبداً، كنتُ أبكي على بعدها عني،
وعلمت فيما بعد أنها بكت على بعدي أكثر مني، كلما مررتُ بمكان اجتمعنا
به سوياً تشق الدموع مجراها، فكما شهدت تلك الأماكن على ضحكنا سوياً
شهدت أيضاً على بكائنا على بعضنا، ولكن الآن قد تبدل الوضع، فنحن الآن
مع بعضنا وعدنا إلى تلك الأماكن لتشهد على ضحكنا معاً مرة أخرى،
وعندها مرت أمامنا كل الذكريات اللطيفة، فشقت تلك المرة البسمة طريقها
بدلاً من الدموع.

نظرت حولي فوجدت الجميع يكافح، ونظرت إلى نفسي فوجدتني
قابعة داخل قوقعة الماضي.

لم يبهرنى هذا العالم يوماً، ليس به شئ مختلف، إنها تلك الأشياء التي
نفعها كل يوم، لم يحتوي هذا العالم يوماً على شئ مشير يختطفي من
بين هذا الروتين الممل، ولم أمر بمغامرة تكسر نفس الروتين الذي
يتكرر يومياً.

اتراجع الآن عمّا كتبت عنك، فأنتِ لم تسببي لي سوى الجراح، ولم تتركي
لي سوى الندوب، اتراجع عن كل كلمة قلتها، وليتني أستطيع استراجع
دموعي التي زُرفت من أجلكِ، لو كنت أعلم فقط أن هذا ما سنصل إليه
لما كنت كتبت لكِ ما كتب وما كنت زرفت عليكِ دمة.

إلى عزيزتي..

عينكِ كالجمرة وأنا بهما تائه.

وتُزاحم الأفكار رأسك، نتوغل حتى تفقدك السيطرة على ذاتك،
وليتك تصل إلى شيء بعد تفكيرك الذي أذبل ملامحك.

ليتنى لم ألتق بكِ، ليتنى أدرت وجهي عند رؤيتكِ، عندها لم نكن لنصل لما
وصلنا إليه الآن.

لستُ أدري ما بي، كل الأشياء التي كنت أحبها أصبحت لا تعني لي شيئاً
ولا ثير انتباهي كما كانت، كما أن ملامي أصبحت باهته، وإبيضت شفاتي،
خيم الحزن على ملامي، ربما انعطفت حياتي إلى الديجور!

"الشتاء"

ذلك الفصل الذي لا أمل منه أبداً، أعشق طقسه البارد، وشمسه الغائبة،
والقشعريرة التي تسري بجسدي عند الصباح الباكر بسبب برودته، واللمة الممتلئة
بالحب والدفء، وكلّاً منا يحتمي مشروبه الدافئ المفضل لديه، وننتشارك ذكريات
الماضي معاً ثم نضحك سويّاً، نضحك وينسى كل منا ما يؤلم فؤاده ويشقيه، لكم
أتمنى أن يدوم هذا الفصل العمر بأكله، لطالما عشقته، كان تقلب الطقس المفاجئ
به يكسر روتين الحياة الممل، مطره الذي ينزل بغزاره كان يغمرني بالسعادة،
تمنيت أن يسقط الثلج يوماً وسقط الثلج.. أعترف لقد كان حقاً من أجمل أيام
حياتي، لازلتُ أذكر كيف كانت فرحتي وحببات الثلج على يدي، لقد كانت
كحبات اللؤلؤ، ووقوفي أسفل المطر حتى تبللت ثيابي بأكلها، لم أكن أشعر بالبرودة
أبداً، فقد كان شعور الفرحة بالمطر والثلج يطغي على شعور البرد، لكم تمنيت أن
يعاد هذا اليوم مرة أخرى.

في أشد وقت كنت بحاجة فيه إلى الكتابة وإخراج ما بجعبتي، ما يهلكُ
روحي وينهكها، ما يقودها إلى أعماق الديجور، خانتني الحروف وأبت أن
تخرج، أن تعبر عن كل ما يكنه قلبي وما يحويه من ألم، أبت أن تخرج
لتخفف عن روحي ما يثقلها، فباتت روحي أثقل، وبات قلبي محمل
بالآمه، بخيباته، بهزائمه، بات حزينا كما اعتاد أن يبیت.

لقد حجت الغيوم القمر عني وبات بعيداً عن ناظري، حتى النجوم حجتها،
وهنا لم أكن أقصد الغيوم ولا القمر ولا حتى النجوم.

حسناً، أود إخبارك بأن كلمتك التي ألقيتها على أحدهم ولم تلقي لها بالاً
قد قسمته شطرين بأكله وليس قلبه فقط.

بما بها روحك يا رفيقي؟

- ماذا بها؟

لم تعد كما كانت، ماذا أصابك

- وماذا تعني بقولك لم تعد كما كانت؟

أنت لم تعد تضحك مثل السابق

- ولكن كنت أضحك معك منذ لحظات فقط

لكن ضحكك كانت منطفئه، أعني أنك كنت تضحك مجاملة لي فقط،

أنت لم تكن هكذا من قبل، بل كنت أنت من يضحكنا

- ولما لا تقول أنني قد تعبت من كثرة إقناعكم أنني بخير.

لقد مللت من كوني أنا الطرف المحاول دائماً، لطالما حاولت أن أحتوي كل من أحبهم، لكنني لا أجيد التعبير جيداً عما بداخلي لهم؛ لهذا ظنوا أنني لا أحبهم، وأنهم لا يعنون لي شيئاً، وهم لا يدرون أنني أنا بدونهم لا شيء، وأنهم كل شيء بالنسبة لي، هم حياتي بأكملها.

أتمنى لو يشعر بي أحدهم، يشعر بما يتخبط بداخلي، وأني لست بهذا الهدوء
الجليّ على وجهي، فأنا بداخلي صراعات لا تنتهي، وهذا الهدوء ظاهري
فقط.

كل ليلة تصبح روحي أثقل من الليلة التي تسبقها، وأنا هنا أحاول أن أحملها
ولكني أعلم جيداً أنها ستسقط مني من ثقلها ذات ليلة، وقلبي.. قلبي أيضاً
أحاول أن ألمم فتاته بعد كل هزيمة، ولكني أعلم أيضاً أنني بعد إحدى هزائمي
لن أجده؛ لأنه سيتناثر ويختفي إلى الأبد حينها.

- هل سمعت عن مرض الاشتياق من قبل؟

نعم، فالاشتياق هو حنينك الجارف لشخص لم يعد موجود في حياتك لقد رحل إلى الأبد ولن يعود شخص لم تبقى منه سوى بعض الذكريات.

لقد أرهقني التفكير، لقد توغلت مخالفه بين خلايا عقلي، أصبحت نتغذى
عليها وأفقدتني السيطرة على ذاتي، أصبح الأمر لا يُطاق حقاً.

وإنجازُ واحد في دينك خيرُ لك من ألف إنجاز في دنياك.

إلى عزيزتي..

اكتفيتُ بكِ وبعينيكِ التي تشبه الجمانِ وبكتفكِ الذي أميلُ عليه وقتِ ضعفي.

أجلس فوق تلك التلة، أتابع حركة الغيوم، تغمرني السعادة فقط لكوني أنظر
إلى السماء وهي ملبدة بالغيوم.

أما عني يا سيدي فأنا ليس لديّ الكثير لأقوله عن نفسي، لكن ما أعرفه أنني من الفصول للشتاء محبه، ومن الزهور للإقحوان مياله، ومن الألوان للأبيض عاشقه، وصديقتي المفضله تبدأ اسمائنا بنفس الحرف، وأحلامي كثيرة جداً لدرجة أنك لا يمكنك عدها، معظمها أحلام صغيرة جداً بالنسبة للبعض ولكنها كبيرة جداً بالنسبة لي لكن أكبر أحلامي سيظل أكبرها وأصعبها والأكثر إستحاله وسأظل أحتضنه بداخلي ريثما يتحقق.

أَنْ تَمْضُوا فِي الدَّرْبِ آمِنِينَ، مَطْمَئِنِينَ، لَا حَزْنَ يُخَيِّمُ عَلَى
قُلُوبِكُمْ وَلَا هُمْ.. آمِينَ.

تلك الصفحات لم تكن سوى حروف اجتمعت وخطت لكم الكتاب.

نلتقي في كتاب آخر.

النهاية.

